المحاضرة الثانية: المصطلحية: النشأة والتطور

لقد أمست العلوم الحديثة رهينة لبناتها التأسيسية؛ والمتمثّلة –تحديدا– في المنظومة الاصطلاحية والتي ظلّت مؤشراتها قابعة داخل المصنّفات القديمة؛ ولكن موجة التحديث الفكري والعلمي قد ساهم في صناعة مجال علمي متعلّق بها، والمسمّى بـ(المصطلحية)، ولعلّ "من الأمارات الدالة على حداثة الفكر الأوروبي ذاته بهذا العلم، أنّ الكلمة الدّالة على علم المصطلح قد تأخّر ظهورها الأوّل، وباحتشام شديد إلى نهايات القرن الثامن عشر، في ألمانيا أولا على يد الأستاذ كريستيان غوتفريد شتز Cristian Gottfried Shutz (1747–1832)، قد أقرّت الصيغة النعتية (Terminoligish) عام 1788م، أمّا الكلمة الانكليزية (Terminologie) فقد ظهرت بعيد ذلك مزاحمة للكلمة الأخرى (Nomenclature) على حين يعود استعمال المقابل الفرنسي (Terminologie) إلى سنة 1801، على يد لويس سيباستيان مرسيي L.S.Mercier (1740–1814)، ضمن مؤلّف له حول التوليد اللغوي" [1].

ولقد نوّهت الباحثة (ماريا تيريزا كابري) إلى الانطلاقة الأوّلية للمصطلحية؛ على الصعيد النظري أو الإجرائي؛ إذ حدّدت إطارها الزمني (الثلث الثاني من القرن العشرين)؛ ورأت أنّ انبجاسها كان مدفوعا باهتمام الباحثين المتخصّصين في العلوم والتقنيّة؛ وبرهنت على ذلك بحاجيات المجتمع المؤثرة في تلك العلوم [2].

ولعلّ المصطلحية بمفهومها الحديث قد ترعرعت "أواخر القرن الميلادي المنصرم في أوربا نتيجة لمحاولة علماء الأحياء والكيمياء الرامية إلى توحيد قواعد وضع المصطلح على النطاق الدولي. وبين عامي 1906 و 1928 صدر معجم شلومان المصوّر للمصطلحات التقنية في 16 مجلدا، وبست لغات. وتكمن أهمية هذا المعجم في اشتراك مجموعة من الخبراء الدوليين في تصنيفه، وأنّه لم يرتّب المصطلحات ألفبائيا وإنّما رتّبها على أساس المفاهيم والعلاقات القائمة بينها، بحيث يسهم تصنيف المفاهيم ذاته في توضيح مدلول المصطلح وتعريفه" [3].

كما يحسن التنويه إلى النظرية اللسانية لبهلر ويسبرسن –بداية من 1920–، والتي مثّلت "محطة رئيسية في نشأة النظرية المصطلحية. ولهذا السبب لا يمكن للمصطلحية بجميع فروعها النظرية والتطبيقية

---

[1] يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص28–29.

[2] ماريا تيريزا كابري، المصطلحية النظرية والمنهجية والتطبيقات، تر: محمد أمطوش، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012، ص3.

[3] علي القاسمي، النظرية العامة والنظرية الخاصة في علم المصطلح، اللسان العربي، الرباط، المغرب، ع29، 1987، ص127.

أن تستقلّ عن اللسانيات، التي ساعدتها على ضبط أسسها المنهجية ومقارباتها النظرية، فتأثّرت بها في البحث عن شرعيتها العلمية وتأسيس وجودها العلمي والابستيمولوجي" [4].

ومن جهة أخرى، فإنّ العامل الاقتصادي كان له أثره في تبلور معالم المصطلحية؛ إذ أدّت "ظروف المنافسة بين الصناعات في الدول الغربية، والرغبة في مع عند الدول المختلفة إلى الاهتمام بهذا الموضوع على المستوى الدولي؛ ولهذا قامت اللجنة الفنّية "الفيدرالية الدولية للاتحادات الوطنية للتقييس The international federation of national standardizing associations" سنة 1936 لبحث موضوع توحيد المصطلحات الدولية في مجال الصناعات والعلم" [5].

وتجدر الإشارة إلى التعاون بين منظمة اليونسكو والحكومة النمساوية، والذي بموجبه تمّ التأسيس لمركز علمي يدعى بـ(مركز المعلومات الدولي للمصطلحات Infoterm)؛ حيث اتّخذ من مدينة (فيينا) مقرّا له حيث سطّر جملة الأهداف المتعلّقة بالدرس المصطلحي وتطبيقاته، والتي من بينها [6]:

- تشجيع البحوث العلمية في النظرية العامة لعلم المصطلحات، ووضع المصطلحات وتوثيقها.

- توثيق المعلومات المتعلقة بالمصطلحات والمؤسسات القطرية والدولية، والخبراء والمشروعات.

- بحث إمكانات التعاون بين بنوك المصطلحات وأسس تبادل المعلومات بينها.

- تنسيق التعاون الدولي في حقل المصطلحات وتبادلها، وتبادل المعلومات عنها.

ولقد سعى هذا المركز إلى إرساء المبادئ والمرتكزات القاعدية للمصطلحية –النظرية العامة للمصطلحات–؛ والتي تهتم بما يلي [7]:

- المفاهيم من حيث طبيعتها وخصائصها وأنظمتها والعلاقات فيما بينها.

---

[4] خليفة ميساوي، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط1، 2013، ص39.

[5] لعبيدي بو عبد الله، مدخل إلى علم المصطلح والمصطلحية، دار الأمل، تيزي وزو، الجزائر، (د.ط)، 2012، ص51.

[6] محمد علي الزركان، الجهود اللغوية في المصطلح العلمي الحديث، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، (د.ط)، 1998، ص458.

[*] مسمّيات هذه المراحل الأربع ترجمها (محمد أمطوش) وفق الآتي: الأصول–الهيكلة–التشعّب– آفاق كبرى. ينظر: ماريا تيريزا كابري، المصطلحية النظرية والمنهجية والتطبيقات، تر: محمد أمطوش، ص8.

[7] مصطفى طاهر الحيادرة، من قضايا المصطلح اللغوي العربي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2003، ص21.

- تسمية ووصف المفاهيم تعريفا وشرحا.

- مكوّنات المصطلحات وتراكيبها واختصاراتها.

- العلامات اللغوية للمصطلحات من حيث التخصّص.

- التقييس والتوحيد المصطلحيان.

وبخصوص تطور المصطلحية الحديثة، فإنّنا نلفي الباحثة (ماريا تيريزا كابري) محدّدة أربع(*) مراحل أساسة لتطوّرها؛ والتي نستعرضها وفق الآتي [8]:

أ/ المرحلة الأولى (1930-1960):

تتميّز بوضع ميكانيزمات منهجية للعمل المصطلحي؛ و تأخذ بعين الاعتبار الخصوصية المنتظمة للمصطلحيات. وفي هذه المرحلة برزت النصوص الأولى لـ(فوستر) و(لوط). وكان لفوستر فرصة التثبّت من عقلانية وملاءمة مناهج العمل في أطروحته خلال تطوير كتابه الموسوم بـ(المعجم المتعدّد اللغات لجهاز الآلة، والمنشور سنة 1968.

ب/ المرحلة الثانية (1960-1975):

شهدت هذه المرحلة جملة الابتكارات في مجال المصطلحية؛ والتي تزامنت مع تطوّر الحاسوبيات الثقيلة وتقنيات التوثيق. كما ظهرت إلى الوجود بنوك المعطيات، وأسّست معالم المصطلحية ومرتكزاتها القاعدية والتي تهدف إلى توحيد اللغة.

جـ/ المرحلة الثالثة (1975-1985):

شهدت هذه المرحلة تفعيلا للمشاريع اللغوية؛ والتي أفسحت مجالا للبحوث المصطلحية؛ كما سلّط الضوء صوب الدور الذي تنجزه المصطلحية في فضاء عصرنة اللغة والمجتمع المتحدّث بها. كما كان لتطوّر الحاسوبيات المصغّرة الأثر في معالجة المعطيات المتعلّقة بالرصيد المصطلحي.

---

[8] ماريا تيريزا كابري، المصطلحية النظرية والمنهجية والتطبيقات، تر: محمد أمطوش، ص8.

د/ المرحلة الرابعة (منذ 1985):

مدار هذه المرحلة يتركّز حول ظهور توجّهات ومسارات جديدة؛ فمن جهة كانت الحاسوبيات في أوّج تحوّلها، ومن جهة أخرى أصبحت الوسائل والموارد ملائمة ومنسجمة مع حاجيات الباحثين. كما بدأت صناعات اللغة تتطوّر، ممّا مكّنت المصطلحية من بسط فضاءات أساسة فيها. وبالإضافة إلى ذلك ابتكرت الشبكات الدولية للمساهمة في تبادل المعلومات على النطاق الدولي الواسع، وللمساعدة في حيّز تكوين المصطلحيين.

ويحسن القول أنّ المصطلحية شهدت تطورا كبيرا، وذلك عبر اقترانها بمجالات علمية مختلفة؛ كعلم الاجتماع، واللسانيات الثقافية، وعلم الدلالة، وعلوم الإدراك، والفلسفة...وغيرها. وهنا سنقف عند أبرز نظريات المصطلحية المستحدثة؛ والتي نسوقها عبر الآتي [9]:

1/ علم المصطلح الاجتماعي:

نشأ علم المصطلح الاجتماعي من الانتقادات التي وجّهت إلى المصطلحية –النظرية العامة لعلم المصطلح–، فهو يعيد النظر في العلاقة الأحادية الاتجاه، المتبادلة بين المصطلح والمفهوم، وهي علاقة أطلقها فوستر لإقصاء الترادف وتعدّد الدلالات من اللغة المتخصّصة.

بهذا، فإنّ المصطلحية الاجتماعية ترتكز على دراسات المصطلحات انطلاقا من السياقات التواصلية والاجتماعية، التي يظهر فيها المفهوم، ويتمّ استعمال مصطلحه فيها.

2/ المصطلحية النصّية:

يعود مسمّى (المصطلح النصّي) إلى كونه لا ينفصل أبدا عن النصّ. فالنصوص علمية كانت أم تقنيّة مكتوبة أم شفوية، هي نقطة الانطلاق لدراسة المصطلحات ووصفها وتحليلها.

---

[9] ينظر: ماري كلود موم، علم المصطلح: مبادئ وتقنيات، ص21-22.

3/ المصطلحية الاجتماعية المعرفية:

قامت (ريتا تمرمان) بوضع نظرية المصطلحية الاجتماعية المعرفية. وهي تعدّ دور اللغة أساسا في فهم العالم، وأنّ المصطلح وحدة فهم لها قيمة تواصلية سياقية، أي أنّ لا معنى لها خارج سياق الكلام وأنّ معناها يختلف باختلاف السياقات، ودرجة تخصّص كلّ من المتكلّم والمتلقي.

4/ المصطلحية الثقافية:

تعرف المصطلحية الثقافية عند (ديكي كيديري)؛ –وهو أحد واضعي هذه النظرية– بأنّها العلم الذي يهدف أساسا إلى تمكين كلّ المجتمعات من الحفاظ على ثقافتها وهويّتها الخاصة، وعدم فقدانها عند اكتسابها معارف جديدة. فهي تسمح للمجتمع بإيجاد المصطلح الملائم للدلالة على مفهوم جديد، على أن يندرج هذا المصطلح ضمن ثقافة المجتمع، وإدراكه الخاص للواقع.

5/ المصطلحية الدلالية:

تقوم هذه النظرية أساسا على دراسة المصطلح ومعناه من خلال علاقات المصطلح (اشتقاق، ترادف تضاد...) مع المصطلحات الأخرى التي تندرج ضمن المجال ذاته. كما أنّ المصطلح يخضع لتغيّرات من الممكن أن تكون ذات طبيعة دلالية. وبالتالي، فإنّه يرتكز على النصوص والسياقات التي تظهر فيها المصطلحات قصد دراسة مختلف تغيّراتها الدلالية، وفهمها بشكل أفضل. ويظهر في هذا الاتجاه تأثير علم اللسانيات عموما، وعلم الدلالة خصوصا.

خاتمة

إجمالا، فإنّ المصطلحية الحديثة قد كانت مساهمة في إعادة ترتيب الرؤى العلمية، وذلك بسن قوانين تقييسية للمواد اللغوية، وذلك بغية تجسيد الطابع المنهجي في استقراء المفاهيم والتصوّرات، وضبط الملفوظات اللغوية وجعلها في دائرة المعجم التخصّصي، إذ لا يمكن إقامة الفضاء العلمي التواصلي بين الباحثين دون تأطير الملفوظات التقنيّة الدقيقة. ولعلّ ما يؤكّد قيمة المصطلحية هو تلك النظريات المنبثقة عنها، والتي لم تختصّ بمجال معرفي دون آخر؛ إذ ألفيناها متّصلة بالدراسات الاجتماعية والثقافية والدلالية والنصّية.